العدد السابع والعشرون
1434 هـ / 2013 م

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة - تصدر سنويا

1434 هجرية 2013 ميلادية

- من أسس بناء الشخصية الإنسانية من منظور تربوي إسلامي.
- المجاهد أحمد الشريف السنوسي ودوره في حركة الجهاد الليبي.
- بعض معالم الثقافة المقاصدية للإمام عبد الملك الجويني.
- نصوص للمستشرقين أنصفوا فيها الإسلام.

وقفة مع أبرز المطاعن المعاصرة حول سلامة لغة القرآن الكريم (عرض ونقد)

د/ عبد الرحيم خير الله عمر الشريف
جامعة الزرقاء – الأردن

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد:

فهذه دراسة تبحث في عرض ونقد شبهات تثار حول سلامة لغة القرآن الكريم في بعض القنوات الفضائية ومواقع الإنترنيت غير الإسلامية، وغرف الدردشة الإلكترونية، ومنتديات الحوار الديني، ومن ثم الاستدلال بتلك الدعاوى على الأصل البشري للقرآن الكريم، لأن الأصل في البشر الخطأ، ولا يمكن أن يخطئ كتاب إلهي.

مشكلة الدراسة:

بعد انتشار وسائل التواصل الحديثة كالقنوات الفضائية ومواقع الإنترنيت ودخولها البيوت والعقول بلا استئذان، أضحى استعمالها في تشويه صورة الإسلام الوسيلة الأنجح والأسرع والأسلم لمثيري الشبهات والطاعنين.

لذا وجب على طلبة العلم الشرعي ممارسة دورهم في نصرة كتاب ربهم ﷻ بالرد على تلك الشبهات وتفنيدها، بدراسة علمية متأنية.. ومن تلك الشبهات المثارة: شبهة أن القرآن الكريم بشري المصدر، بدليل وجود أخطاء لغوية فيه، لا يعقل أن يكون من إله حكيم خبير.

ولتكون الردود قوية، ووفق منهج نقد علمي موضوعي سليم، ينبغي في البداية فهم كل شبهة مثارة، ومعرفة الحجج التي احتج بها مثيروها، فذلك هو المدخل الطبيعي للرد عليها، ومن هنا المشكلة التي تبحثها هذه الدراسة هي الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما أبرز الأمثلة التي استدل بها القوم لإثارة الشبهات حول سلامة لغة القرآن الكريم؟
2- كيف نرد على تلك الشبهات؟
3- لماذا يشتد حرص مثيري الشبهات حول القرآن الكريم على الطعن في سلامة لغته؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

1- عرض دعاوى الطاعنين في لغة القرآن الكريم بوجود أخطاء نحوية وصرفية وبلاغية فيه.
2- الرد العلمي على تلك الدعاوى، بل وإثبات أن ما تثيره من شبهات يعد دليلا إضافيا على الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.
3- إثبات ربانية مصدر القرآن الكريم، بدليل سلامته من الزلل.

محددات الدراسة:

اقتصرت الدراسة على البحث في الدعاوى المعاصرة بوجود خطأ في سلامة لغة القرآن الكريم، والتي رصدها الباحث من خلال متابعته للقنوات الفضائية ومواقع الإنترنيت ومنتديات الحوار الديني التي تثير الشبهات المتعلقة بالجانب اللغوي من القرآن الكريم، وبخاصة ما يتعلق منها بالنحو والصرف والبلاغة.

ولن يتم ذكر اسم أي مصدر لتلك الشبهات، من باب عدم الدعاية لمصدرها، وتهوينا من شأنه- كعادة القرآن الكريم -.

كما سيكتفى ببيان موضع الشاهد من الشبهة، دون الإطالة في عرضها، لتتناسب مع حجم الدراسة، فالهدف هو النقد العلمي للشبهة، ومراعاة للمآلات والثمرة من البحث العلمي، وهي التركيز على إجابة الأسئلة المثارة، دون عناية – لا مسوغ لها – بتحديد عين طارح الأسئلة.

الدراسات السابقة:

تناولت أكثر الدراسات السابقة الشبهات المثارة حول القرآن الكريم بشكل عام، فهنالك المصادر القديمة التي ردت على شبهات الزنادقة وأهل الكتاب، كتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، والانتصارات الإسلامية للطوفي، والانتصار للقرآن للباقلاني.. وغيرها، وكثير من المراجع المعاصرة التي ردت على المستشرقين والمنصرين والعلمانيين، كالاستشراق والقرآن العظيم لمحمد خليفة، ورد مفتريات على الإسلام لعبد الجليل شلبي، وشبهات وأباطيل خصوم الإسلام للشعراوي، والمستشرقون والقرآن الكريم لمحمد أمين بني عامر.. وغيرها.

ولكن الباحث لم يجد أي بحث علمي مختص تناول الرد على الشبهات الجديدة المثارة في الفضائيات ومواقع الإنترنيت حول سلامة لغة القرآن الكريم، بحسب التفصيل الوارد في هذه الدراسة.

منهج البحث في هذه الدراسة:

قام الباحث باستخدام المنهج الاستقرائي لحصر دعاوى المحتجين بالأخطاء اللغوية المزعومة في القرآن الكريم على بشرية مصدره، ثم المنهج الوصفي لاستخلاص موضع الشاهد من حججهم، ثم المنهج النقدي لنقد تلك الدعاوى وتفنيدها.

كما التزم الباحث ترتيب المصحف الشريف في ذكر الأمثلة على الدعاوى، وبرواية حفص عن عاصم، إلا إن اقتضى المقام ذكر قراءات أخرى، وسيتم بيانها في موضعها.

وقد تم تقسيم البحث إلى توطئة تحدث فيها الباحث عن أهمية الانتصار للقرآن الكريم وفضله، يليها صلب البحث الذي قسم إلى قسمين: الأول: تناول

الطعون المثارة حول سلامة لغة القرآن الكريم من حيث النحو والصرف، والثاني: تناول الطعون من حيث البلاغة.

وفي كل قسم سيتم عرض الشبهة على صيغة سؤال محدد وقصير، يليه الجواب بالرد العلمي المستند إلى كتب السادة العلماء.

ويلي ذلك خاتمة يذكر فيها الباحث تنبيهات ثلاثة لا بد من معرفتها، لكي تؤتي هذه الدراسة أكلها.

توطئة:

حين أكرم الله ﷻ هذه الأمة، وشاء لها أن تسود باقي الأمم وتتزعم ريادة العالم، أنزل إليها الدستور الناظم لحياتها حتى إذا عملت بمقتضاه ارتقت وسادت، لذا فإن من يريد التيه لهذه الأمة، فأول ما يوجه سهامه نحوه هو سبب عزتها ورفعتها، محاولا تدمير منارتها.

لكن، لما تأكد له أنه لن ينال مراده، تمنى أن يحول بين نور المنارة والمنتفعين به بمختلف أشكال الضباب (المصنوع)، وكان من أحدث أشكاله، استخدام وسائل الاتصال الحديثة في نشر الشبهات حول القرآن الكريم، ومنها: القنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنيت)، لكن..﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]، فكان من سننه في جنده من عباده المؤمنين أنهم:﴿ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾[2].

لذا جاءت هذه الدراسة، لتعرض أهم تلك الشبهات الواردة حول لغة القرآن الكريم ومن ثم نقدها، استجابة لأمر الله ﷻ لرسوله ﷺ –وللدعاة وطلبة العلم من بعده– بالجهاد بالقرآن الكريم: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ

(1) سورة التوبة، الآية: 32.

(2) سورة الشورى، الآية: 39.

﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1]، مبشرا من قام بذلك ببلوغ ما وعد به الحق وأهله من حتمية التأييد والنصر والتمكين: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[2].

وليس ذلك منّة من طلبة العلم، أو نافلة يعطونها فضل أوقاتهم واهتماماتهم، بل هو حق للأمة، واجب عليهم، يأثمون بتركه، فحفظ الدين مسؤوليتنا جميعا، وهو أولى الأولويات، وأهم الضروريات.

ومعرفة الشبهات المثارة حول الدين الحق، والنظر إليها بعين البصيرة، من أهم سبل حفظه ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[3].

والدفاع عن القرآن الكريم في هذا الزمان يكون بالانتصار له ورد الشبهات المثارة حوله، فإن لم يتصد طلبة العلم الشرعي لمثيري الشبهات..فمن؟

قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيرا يُفقّهه في الدين، ولا يزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة"[4].

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم"[5]، قال القرطبي معلقا على الحديث: "وهذا وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله تعالى"[6]، بل استدل الخطيب البغدادي بهذا الحديث على وجوب مناظرتهم فقال: "فأوجب المناظرة للمشركين، كما أوجب النفقة والجهاد في سبيل الله"[7].

---

(1) سورة الفرقان، الآية: 52.

(2) سورة السبأ، الآية: 49.

(3) سورة الأنعام، الآية: 55.

(4) رواه مسلم (1037) عن معاوية رضي الله عنه.

(5) رواه أبو داود (2655)، والترمذي (1613)، والنسائي في السنن الكبرى (8637)، والحاكم في المستدرك 85/2، وصححه وقال: صحيح على شرط مسلم، وكذا قال شعيب الأرناؤط في تحقيقه لمسند الإمام أحمد 252/3 (13663).

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 143/8.

(7) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، 170/2.

وبه استدل ابن حزم فقال: "ولا غيظَ أغيظُ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادقة، وقد تهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تغلب أبدا، فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة..والأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله"[1].

وقال ابن تيمية: "كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع، مناظرة تقطع دابرهم.. لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"[2].

القسم الأول:

نقد دعاوى وجود أخطاء نحوية وصرفية فى القرآن الكريم:

1- سورة البقرة:

أ/ قوله تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[3].

السؤال: لماذا جعل الضمير العائد على المفرد جمعا؟

الجواب: التقدير: (كالذي استوقد نارا...) وحّد (الذي) و(استوقد)، لأن المستوقد واحد من جماعة تولى الإيقاد لهم، فلما ذهب الضوء رجع عليهم الظلام جميعا.

ومن روعة الإعجاز البياني في القرآن الكريم، أنه جمع الضمير في قوله: ﴿بنورهم﴾ مع كونه بلصق الضمير المفرد في قوله: ﴿ما حوله﴾ مراعاة لحال المشبه (حال المنافقين)، لا لِحَالِ المشبه به (حال المستوقد الواحد) على وجه بديع يفيد الرجوع إلى الغرض الأصلي.. فهذا إيجاز بديع، وكأنه قائل: "فلما أضاءت ذهب

(1) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، 28/1.
(2) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، 357/1.
(3) سورة البقرة، الآية: 17.

الله بناره، فكذلك يذهب الله بنورهم –بصرهم–"، وهذا أسلوب لا عهد للعرب بمثله، فهو من أساليب الإعجاز[1].

ويجوز أن يقال: المقصود بالذي في الآية ليس الشخص، إنما الفريق، ولهذا يقال: "الفريق الذي" فعل كذا ولا يقال الذين"، ولكن الأول أبلغ.

ب/قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

السؤال: لماذا لم يرفع الفاعل؟

الجواب: إعراب النص كاملا كما يلي:

قال: فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو)، ويرجع إلى رب العزة سبحانه.

لا: حرف نفي لا محل له من الإعراب.

ينال: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

عهدي: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وهو مضاف.

الياء: ضمير متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه.

الظالمين: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء، لأنه جمع مذكر سالم[3].

المعنى: العهد هو الذي ينال الظالمين، والعهد صادر عن الله ﷻ، فلا ينال الظالم عهده[4].

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي، 212/1. والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 308/1. وذكر القرطبي أن لفظ (الذي) يستعمل للمفرد والجمع، وذكر البيت التالي:

وأن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد.

ونسبه ابن منظور للأشهب بن رميلة، ينظر: لسان العرب، 246/15 (الذي)، وذكر شاهدا على أن العرب قد تستعمل (الذي) للجمع.

(2) سورة البقرة، الآية: 124.

(3) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، 168/1. والجدل في إعراب القرآن، محمود صافي، 254/1.

(4) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، 89/1.

ج/ قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

هنا سؤالان:

السؤال الأول: لماذا أتي بالمصدر: ﴿البر﴾ بدلا من اسم الفاعل (البار) عطفا على (آمن)؟

الجواب: كلمة ﴿آمن﴾ فعل ماض وليس اسم فاعل كما زعم، إنما اسم الفاعل (مؤمن).

البر: اسم جامع لمعاني الخير.. والتقدير (ولكن البر بر من آمن) فحذف المضاف، ويجوز أن يحذف ما علم من مضاف أو مضاف إليه، فإن كان المحذوف المضاف، فالغالب أن يخلفه في إعرابه المضاف إليه[2].

وبالنسبة لمعنى الآية فالتقدير:(ولكن البر بر من آمن)، فالآية تريد منك الإيمان العميق المتغلغل المتمكن في أعماقك، لا مجرد خواطر وأفكار عابرة.. فصار (البر) و(المؤمن) شيئا واحدا[3].

السؤال الثاني: في كلمة و﴿الصابرين﴾ لماذا نصب المعطوف على المرفوع؟

الجواب: ﴿الموفون﴾ معطوفة على ﴿من﴾، لأن ﴿من﴾ هنا اسم موصول يفيد الجمع في محل رفع، وكأنه قال: (لكن البر المؤمنون والموفون)[4].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 177.

(2) ينظر بسط هذه المسألة في: أوضح المسالك، ابن هشام، 149/3-150.

(3) ينظر: الكشاف، الزمخشري، 330/1. وقد استشهد بوصف الخنساء لفرس: "فإنما هي إقبال وإدبار" أي: إن الفرس- لسرعتها- صارت كأنها هي الإقبال والإدبار.

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 240/2. وذكر الباقلاني في الانتصار، 554/2 وجوها أخرى.

﴿والصابرين﴾ نصب على المدح، (تقديره: وأخص الصابرين) فالعرب تنصب على المدح وعلى الذم كأنهم يريدون بذلك إفراد الممدوح أو المذموم.

وتغاير أسلوب الكلام بالنصب بعد الرفع حتى مع وجود العطف، للفت انتباه السامع، فهو من البلاغة المحمودة[1].

2- سورة النساء: قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

السؤال: لماذا نصب المعطوف على المرفوع؟

الجواب: هذا مثل ﴿الصابرين﴾ في المثال السابق من سورة البقرة.

﴿والمقيمين﴾: منصوب على المدح، أي أخص وأعني: المقيمين الصلاة[3]، وهذا يسمى القطع، والقطع يكون في: الصفات أو العطف –إذا كان من باب الصفات-.. والقطع يكون للأمر المهم، كما في قوله تعالى:﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾[4] عطف على اسم.

أما القطع في الصفات فيكون مع المرفوع للمنصوب، ومع المنصوب للمرفوع، ومع المجرور للمرفوع، والآية –موضع الشبهة- هي القطع يقطع من الصفات، لأهمية المقطوع، والمقطوع يكون مفعولا به، بمعنى: أخص-المدح- ويسمى مقطوعا على المدح أو الذم، وفى الآية السابقة كلمة: ﴿المقيمين﴾ مقطوعة وهي تعني: أخص المقيمين الصلاة.

---

(1) جعل سيبويه في الكتاب 62/2 بابا بعنوان: "باب ما ينتصب على التعظيم والمدح" وذكر فيه شواهد من كلام العرب.

(2) سورة النساء، الآية: 162.

(3) هذا للتعظيم (تعظيم شأن الصلاة) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 14/6، وذكر شواهد عليه من شعر العرب. وذكر الباقلاني في الانتصار للقرآن، 555/2 وجوها أخرى في إعراب ﴿المتقين﴾.

(4) سورة التوبة، الآية: 3.

وكأننا نسلط الضوء على المقطوع، فالكلمة التي نريد أن نركز عليها أو نسلط عليها الضوء: نقطعها.

أما لماذا جاءت ﴿المقيمين الصلاة﴾ بالقطع، ﴿والمؤتون الزكاة﴾ معطوفة على: ﴿الراسخون في العلم﴾؟.

فالجواب: لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة عبادتان ظاهرتان في الآية وردتا بين عقيدة (والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك)، (والمؤمنون بالله واليوم الآخر)، وإقامة الصلاة هي الأمثل والأولى، فركز عليها[1].

3–سورة المائدة:

أ/ قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[2].

السؤال: أليس الصواب: يديهما؟

الجواب: كل شيء يوجد من خلق الإنسان وكان جزءا منه، إذا أضيف إلى اثنين جمع، تقول: هشمت رؤوسهما، وأشبعت بطونهما[3].

ب/ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4].

السؤال: لماذا رفع المعطوف على اسم إن؟

الجواب: الصابئون هم أبعد المذكورين عن الإيمان، رفع كلمة ﴿الصابئون﴾، للدلالة على أنهم أبعد المذكورين في الضلال ولأنهم أقل منزلة – الكلمة غير خاضعة للتوكيد بـ(إن) – وكأن اليهود والنصارى لأنهم أهل كتاب عطفهم على اسم إن التي تفيد التوكيد.

---

(1) نقلا عن موقع لمسات بيانية، للدكتور/ فاضل السامرائي، ورابطه: http//www.islamiyyat.com/lamsat.htm

(2) سورة المائدة، الآية: 38.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 174/6.

(4) سورة المائدة، الآية: 69.

وكلمة ﴿الصابئون﴾ تعرب على أنها مبتدأ، وقد تكون اعتراضية وخبرها محذوف بمعنى، (والصابئون كذلك)، أما كلمة ﴿النصارى﴾ فهي معطوفة على ما قبلها[1].

4- سورة الأعراف:

أ/ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

السؤال: لماذا تذكير خبر الاسم المؤنث؟

الجواب: يجوز تذكير لفظ ﴿قريب﴾ ليدل على معنى الزمان أو النعت أو النسب، ولم تؤنث كلمة ﴿قريب﴾ لأنها تأنيث غير حقيقي كالوقت، ولفظ ﴿قريب﴾ نعت، ينعت به المذكر والمؤنث والجمع بمعنى ولفظ واحد[3].

والآية الكريمة من الإعجاز البياني فـ:"الرحمة صفة من صفات الرب تبارك وتعالى، والصفة قائمة بالموصوف لا تفارقه، لأن الصفة لا تفارق موصوفها، فإذا كانت قريبة من المحسنين، فالموصوف تبارك وتعالى أولى بالقرب منهم، بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين.. فالرب تبارك وتعالى قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم، وقربه يستلزم قرب رحمته، ففي حذف التاء هاهنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القربين: قربه، وقرب رحمته، ولو قال: إن رحمة الله قريبة من المحسنين، لم يدل على قربه تعالى منهم، لأن قربه تعالى أخص من قرب رحمته، والأعم لا يستلزم الأخص، بخلاف قربه، فإنه لما كان أخص استلزم الأعم، وهو قرب رحمته..

وإذا كان المعنيان متلازمين، صح إرادة كل واحد منهما، فكان في بيان قربه – سبحانه وتعالى – من المحسنين من التحريض على الإحسان، واستدعائه من النفوس، وترغيبها فيه، غاية حظ وأشرفه وأجله على الإطلاق، وهو أفضل إعطاء

(1) ينظر: الانتصار للقرآن، الباقلاني، 556/2.

(2) سورة الأعراف، الآية: 56.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 15/16، ونقله عن الزجاج والكسائي وذكر أبياتا فيه. وقال الزمخشري في الكشاف 107/2: "وإنما ذكر ﴿قريب﴾ على تأويل الرحمة أو الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف – أي: شيء قريب –..".

أعطيه العبد، وهو قربه تبارك وتعالى من عبده الذي هو غاية الأماني ونهاية الآمال وقرة العين وحياة القلوب وسعادة العبد كلها.

فكان في العدول عن (قريبة) إلى ﴿قريب﴾ من استدعاء الإحسان، وترغيب النفوس فيه، ما لا يتخلف بعده إلا من غلبت عليه شقاوته، ولا قوة إلا بالله تعالى[1].

ب/ قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾[2].

السؤال: وقعت الآية في خطأين: تأنيث العدد، وجمع المعدود، لذا أليس الأصح: اثني عشر سبطا؟

الجواب: أسباطا أي جماعات: وهي قبائل (جمع مؤنث)، والتقدير "اثنتي عشرة أمة"، فأنث لفظ عشرة، لأن المحذوف مؤنث تقديره "أمة" أو "فرقة".

ويجوز القول إن (أسباطا) ليست تمييزا، وإنما يدل عن تمييز محذوف تقديره (قبيلة)، وتكون (أمما) نعتا للبدل، فيكون التقدير: (وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة أسباطا أمما)، وهذا الجمع لكلمة (أسباطا) هو الأليق ببيان حال فرقة القوم واختلافهم وتشتتهم[3].

5– سورة التوبة:

قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾[4].

السؤال: لماذا جاء باسم موصول مفرد، مع أنه يعود على جمع؟

الجواب: المعنى: خضتم كالذي خاضوه، أي بالشيء الذي خاضوا فيه، و(الذي) عادت على الأمر المفرد، وليس على (خاضوا).

---

(1) بدائع الفوائد، ابن القيم، 541/3.

(2) سورة الأعراف، الآية: 160.

(3) ينظر/ البحر المحيط، 406/4.

(4) سورة التوبة، الآية: 69.

لنتأمل الآية بتمامها: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾. معنى الخوض في الآية: الدخول، فيكون المعني الإجمال: دخلتم فى الباطل الذي دخلوا هم فيه.

وعلى هذا: فـ﴿الذي﴾ هنا تقع على المصدر، يريد: "كخوضهم"، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ﴾[1]، ويقولون على هذا القياس:"أنت فينا الذي ترغب" و"أنتما فينا الذي ترغبان" و"أنتم فينا الذي ترغبون"، وكذلك المؤنث: "أنت فينا الذي ترغبين" تريد:"أنت فينا رغبتك"، وحينئذ لا تثنى "الذي"، ولا تجمع، ولا تؤنث[2].

6- سورة هود:

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾[3].

السؤال: لماذا نصب المضاف إليه؟

الجواب: ضراء: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة منع من التنوين، لأنه منته بألف التأنيث الممدود مثل: نعماء قبلها، والقاعدة النحوية: "يمنع ما فيه ألف التأنيث من الصرف مطلقا، سواء كانت الألف مقصورة كـ(حبلى) أو ممدودة كـ(حمراء)"[4].

ومن الملاحظ أن (نعماء) و(ضراء) منتهيتان بالألف الممدودة، المانعة من الصرف.

---

(1) سورة الشورى، الآية: 23.

(2) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ص709.

(3) سورة هود، الآية: 10.

(4) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 322/2.

7- سورة يوسف:

أ/ قوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[1].

السؤال: أليس الصواب (ما هذا بشر)؟

الجواب: شبه عمل (ما) بعمل (ليس)، لأنها بمعناها[2].

ب/ قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[3].

السؤال: لماذا كتب نون التوكيد تنوينا، على عكس نون ليسجنن، مع أن كلا منها للتوكيد؟

الجواب: هذه ليست تنوين فتح، وإنما رسم عثماني لنون التوكيد الخفيفة، إذا وقف عليها يوقف عليها بالألف، وفى كلمة ﴿ليسجنن﴾ هذه نون التوكيد الثقيلة، فخالفتها بالرسم، وهي مؤكدة أكثر من الخفيفة، وقد دلت في المعنى على منزلة سيدنا يوسف عليه السلام في قلبها..لأن دخول السجن آكد من كونه من الصاغرين[4]، أي بالنسبة لامرأة العزيز، السجن أخف وطأة من أن يكون يوسف عليه السلام من الصاغرين..، وأين تجد هذا الإعجاز البياني في سوى القرآن الكريم؟

8- سورة طه:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[5].

السؤال: لماذا رفع اسم إن؟

الجواب: الآية برواية حفص بتسكين نون (إن)، وإن المخففة تكون مهملة وجوبا إذا جاء بعدها فعل، أما إذا جاء بعدها اسم فالغالب هو الإهمال نحو (إنْ زيد

---

(1) سورة يوسف، الآية: 31.

(2) ينظر: الكتاب، سيبويه، 20/1، (باب: ما أجرى مجرى ليس بلغة أهل الحجاز). وإعراب القرآن، النحاس، ص 191. وقال الزمخشري في الكشاف 441/2: "إعمال (ما) عمل (ليس) هي اللغة القُدْمَى الحجازية".

(3) سورة يوسف، الآية: 32.

(4) نقلا عن موقع لمسات بيانية للدكتور/ فاضل السامرائي، مرجع سابق.

(5) سورة طه، الآية: 63.

لكريم)، ومتى أهملت يقترن خبرها باللام المفتوحة وجوبا، للتفرقة بينها وبين إن النافية كي لا يقع اللبس، واسمها دائما ضمير محذوف يسمى ضمير الشأن، وخبرها جملة (هذان ساحران).

أما قراءة ﴿إن هذان لساحران﴾ بتشديد النون، فهي لغة بني الحرث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة بن زيد، فهم يقولون: جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان..[1]، والقرآن الكريم تميز بالحفاظ على لغات العرب، وأنه أعجزهم بمختلف لهجاتهم — ومن ثم قبائلهم –.

9– سورة الأنبياء:

قوله تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[2].

سؤال: لماذا أتى بضمير في محل رفع فاعل، مع وجود فاعل؟

الجواب: الواو في ﴿وأسرّوا﴾ علامة جمع لا محل لها من الإعراب، أما الفاعل فهو ﴿الذين﴾ في محل رفع بدلا من الضمير[3].

نكتة بيانية: قال تعالى: ﴿وأسرّوا﴾ ولم يقل: (وتناجوا)، للدلالة على شدة إخفاء تناجيهم، فلقد حرصوا على التكتم بسرية بالغة[4].

10– سورة الحج:

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾[5].

---

(1) هذه قراءة ابن كثير المكي، ينظر تفصيل ذلك والأدلة عليه في الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 216/11. وأطال الباقلاني في بيان وجوه مختلفة للرد عليها في كتابه: الانتصار للقرآن، 532/2 و551. ونقل عن أكثر النحاة قولهم: إن إثبات الألف في المثنى في حالات الرفع والنصب والجر، هو القياس، لأن الألف تتبع فتحة ما قبلها، كما أن الواو في (مسلمون) تتبع ما قبلها، والياء في (مسلمين) تابعة للكسرة ما قبلها.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 3.

(3) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 468/1. وشبه الواو الدالة على الجمع التي لا محل لها من الإعراب، بتاء التأنيث التي لا محل لها من الإعراب وتدل على التأنيث، كما ذكر ابن هشام في أوضح المسالك، 89/2–92 أنها لغة طيء، وأكثر من ذكر شواهد عليها.

(4) ينظر: معارج التفكر، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، 162/8.

(5) سورة الحج، الآية: 19.

السؤال: لماذا جمع المثنى؟

الجواب: جمع ﴿اختصموا﴾ حملا على المعنى، لأن كل خصم فريق فيه عدد من الأشخاص[1].

وعلى كل حال: حين يجتمع الجيشان (الخصمان)، يختلط أفراد كل جيش بأفراد الطرف الآخر، ويموج بعضهم في بعض.. حينذاك يكون التعبير الأفصح: (اختصموا).

إذن فالآية الكريمة تتحدث عن فريقين، لكل منهما قائد، وتحت كل منهما جماعة: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾[2].

والمعلوم أن القتال بين طائفتين يكون بمجموع أفرادهما، بينما المفاوضات للصلح تكون بين فردين (قائدين) كل يمثل طائفته.. كما جمع (اقتتلوا) لأنه قد يكون كل فرد في كل طائفة، يقاتل أفراد الطائفة الأخرى لهدف خاص إضافة إلى الأهداف العامة للقيادة (كلٌّ يقتتل لهدفه).

11- سورة الشورى:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴾[3].

السؤال: ما علة تذكير خبر الاسم المؤنث؟

---

(1) نزلت الآية الكريمة في المنازلة بين المسلمين وقريش قبل الالتحام في بدر، فهي بين فريقين، كل فريق مكون من ثلاثة أشخاص، جاء الحديث المتفق عليه: "نزلت ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ في ستة من قريش: علي وحمزة وعبيدة ابن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة" رواه البخاري (3966) ومسلم (3033) كلاهما عن أبي ذر ﷺ ، واللفظ للبخاري.

(2) سورة الحج، الآية: 23.

(3) سورة الشورى، الآية: 17.

الجواب: يجوز تذكير (قريب) على معنى الزمان أو البعث أو النسب، ولم تؤنث (قريب)، لأنها تأنيث غير حقيقي كالوقت، ولفظ (قريب) نعت ينعت به المذكر والمؤنث والجمع بمعنى ولفظ واحد[1].

وعلى كل حال، يجوز أن يستوى المذكر والمؤنث على وزن (فعيل) فتقول: رجل جريح وامرأة جريح، وكذا وزن (فعول) فنقول: رجل صبور وامرأة صبور،وعلى وزن (مفعال)، فنقول: رجل منحار وامرأة منحار – أي: كثير النحر –[2].

12– سورة الحجرات:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ ﴾[3].

السؤال: أليس الصواب: اقتتلتا؟

الجواب: لا يضر المعنى إن تم ذكر لفظ "طائفة" مرة بالإفراد ومرة بالجمع[4]، وهذا التعبير البديع من بلاغة إعجاز القرآن الكريم الذي لم يسبق بمثله.

13– سورة المنافقون:

قوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[5].

السؤال: لماذا جزم الفعل المعطوف على منصوب؟

الجواب: الجزم – في رواية حفص ومن وافقها – محمول على المعنى، و﴿أكن﴾ بالجزم عطفا على موقع الفاء ﴿فأصدق﴾، إذ لو لم تكن الفاء، لكان لفظ (أصدق) مجزوما، فالأصل (لو لا أخرتني أصدق وأكن)، ولكن دخلت الفاء على (أصدق) فنصبتها، وبقيت (أكن) مجزومة، لأنها معطوفة على فعل مجزوم[6].

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 15/16، ونقله عن الزجاج والكسائي، وذكر شواهد عليه من شعر العرب. وينظر: جامع البيان، الطبري، 208/8.

(2) ينظر تفصيل ذلك: إعراب القرآن، الدرويش، 25/9.

(3) سورة الحجرات، الآية: 9.

(4) ينظر: حاشية ابن المنير على تفسير الكشاف للزمخشري، 4/ 367.

(5) سورة المنافقون، الآية: 10.

(6) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص346-347، وذكر شاهدا على ذلك من كلام العرب. وينظر: الانتصار للقرآن، الباقلاني، 557/2.

14- سورة التحريم:

قوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾[1].

السؤال: أليس الأصح:"قلباكما"، لأنه ليس للاثنين أكثر من قلبين؟

الجواب: كل شيء يوجد من خلق الإنسان وكان جزءا منه، إذا أضيف إلى اثنين، جمع تقول: هشمت رؤوسهما، وأشبعت بطونهما[2].

ومثير الشبهة يجهل أن من عادة العرب: "أن تستكره الجمع بين تثنيتين في لفظ واحد"[3].

15- سورة الإنسان:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴾[4]، وقوله:﴿ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ۝ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٖ ... ﴾[5].

السؤال: لماذا نوّن الممنوع من الصرف؟

الجواب: هذه إحدى اللغات عند العرب: صرف جميع ما لا ينصرف، عدا (أفعل منك)[6].

16- سورة العلق:

قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾[7].

السؤال: لماذا كتب نون التوكيد تنوينا؟

---

(1) سورة التحريم، الآية: 4.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 174/6.

(3) فتح القدير، الشوكاني، 351/5.

(4) سورة الإنسان، الآية: 4.

(5) سورة الإنسان، الآية: 15-16.

(6) ينظر: الجامع للأحكام القرآن، القرطبي، 123/9، وذكر أمثلة من شعر العرب. وينظر أيضا: الموضح فى وجوه القراءات وعللها، ابن أبي مريم، 1321/3-1322.

(7) سورة العلق، الآية: 15.

الجواب: من قواعد الإملاء العربية أن نون التوكيد المخففة، تلفظ ألفا لينة عند الوقف، تفريقا لها عن نون التوكيد المثقلة[1]، فتكتب في الرسم العثماني للمصحف، بحسب لفظها.

تلك أبرز الشبهات المثارة حول نحو وصرف القرآن الكريم، ومن الغرائب أن الأعاجم والعوام يقدحون في صحة نحو القرآن الكريم ولم يسعهم ما وسع فصحاء العرب، ألا يعلمون أن القرآن الكريم نزل قبل تقعيد القواعد؟.

قال محمد رشيد رضا: "وقد تجرأ بعض أعداء الإسلام على دعوى وجود الغلط النحوي في القرآن!.. وهذا جمع بين السخف والجهل، وإنما هذه الجرأة من الظاهر المتبادر من قواعد النحو مع جهل، أو تجاهل أن النحو استنبط من اللغة ولم تستنبط اللغة منه[2]، وأن قواعده إن قصرت عن الإحاطة ببعض ما ثبت عن العرب فإنما ذلك لقصور فيها، وأن كل ما ثبت نقله عن العرب فهو عربي صحيح، ولا ينسب إلى العرب الغلط في الألفاظ.."[3].

أيعقل أن يغلط محمد ﷺ ويلحن من "كان أفصح خلق الله ﷻ، وأعذبهم كلاما، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقا، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب، ويسبي الأرواح، ويشهد له بذلك أعداؤه، وكان إذا تكّلم تكلّم بكلام مفصل مبين.. يتكلم بجوامع الكلام، فصل لا فضول ولا تقصير"[4].

وذكر محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسير "التحرير والتنوير" حكاية مناسبة للموضوع فقال: روي أن ابن الراوندي – وكان ملحدا – قال لابن الأعرابي: أتقول العرب"لباس التقوى"؟ فقال ابن الأعرابي: لا باس، وإذا أنجى الله

(1) ورد في كتاب: قواعد الكتابة والترقيم، سلامة الروسان، ص28، تحت عنوان: من أنواع ألف اللينة: "الألف اللينة المبدلة من نون التوكيد الخفيفة مثل قوله تعالى: ﴿ لنسفعا بالناصية﴾.

(2) يقصد أن النحاة استنبطوا قواعد اللغة العربية من خلال تتبعهم لما ورد في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأقوال فحول الشعراء.. فهي الحكم على صحة القواعد، لا القواعد حكم على صحتها، فقد يقعد النحاة قاعدة مخالفة لفصيح اللغة، وعندها يكون منشأ الخطأ منهم، لعدم استقرائهم وتتبعهم.. وسبحان من أحاط بكل شيء علما!

(3) في تفسير المنار، 394/6 عند تفسير الآية 69 من سورة المائدة.

(4) زاد المعاد، ابن القيم، 175/1.

الناس، فلا نجّى ذلك الرأس، هبك يابن الراوندي تنكر أن يكون محمد نبيا، أفتنكر أن يكون فصيحا عربيا؟![1].

إنّ حال العوامّ – ومن في حكمهم – من مثيري الشبهات حول سلامة لغة القرآن الكريم كحال مزارع لم يعرف سوى الزراعة مهنة، ثم أصيب بالعمى، يريد إتقان عملية زراعة قرنية، وزيادة على ذلك، لا يملك أي أداة من أدوات الجراحين،فأنى له النجاح في عمليته؟! إنه سيكون أضحوكة الناس، ومع ذلك تراه ينتقد أمهر الجراحين المشهود لهم عالميا، عند منافسيهم قبل أصدقائهم!! فَمَنِ الأحقُّ بالسخرية والاستهزاء عند قوم يعقلون؟!

"فهل ينخدع عاقل بتقوُّل جاهللم يبلغ في معرفة العربية رتبة مسيلمة الكذاب؟!!"[2]، ومن الجميل تأمل رد السكاكي على أولئك الناس في نهاية "مفتاح العلوم"، منه: "أضل الخلق عن الاستقامة في الكلام، إذا اتفق أن يعاود كلامه مرة بعد أخرى، لا يعدم أن يتنبّه لاختلاله فيتداركه .. قدّروا أن لم يكن نبيا، وقدّروا أن كان نازل الدرجة في الفصاحة والبلاغة، وقدروا أن كان لا يتكلم إلا خطأ.. أوقد بلغتم من العمى إلى حيث لم تقدروا أن يتبيّن لكم أنه عاش مدة مديدة بين أولياء وأعداء؟.. ألم يكن له وليٌّ فينبّهه – فعل الأولياء –، إبقاء عليه أن ينسب إلى نقيصة؟ ولا عدو فينقض دليله؟.. سبحان الحكيم الذي تسع حكمته أن يخلق في صور الأناسي بهائم، أمثال الطامعين أن يطعنوا في القرآن، ثم الذي يقضى منه العجب أنك إذا تأملت هؤلاء وجدت أكثرهم لا في العير ولا في النفير، ولا يعرفون قبيلا من دبير، أين هم عن تصحيح نقل اللغة؟ أين هم عن علم المعاني؟ أين هم عن علم البيان؟ أين هم عن باب النثر؟ أين هم عن باب النظم؟.. أبعدُ شيء عن نقد الكلام جماعتهم لا يدرون ما خطأ الكلام وما صوابه، ما فصيحه وما أفصحه وما بليغه وما أبلغه.."[3].

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 9/1.
(2) المعجزة الخالدة، د/ حسن ضياء الدين عتر، ص350.
(3) مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، ص708-715.

وكثير مما عابوه على القرآن الكريم، هو من لهجات العرب الفصيحة التي حافظ عليها القرآن الكريم، لذا لا يعيب القرآن الكريم وجود لغة من لغات العرب فيه، بل تلك مزية له، فقد حفظ القرآن الكريم كثيرا من لغات العرب ولهجاتها الفصيحة، فشكل المرجع الوحيد الموثوق به لدراسة تطور لهجات العرب الفصيحة.

بل إن وجود لهجات أخرى لغير قريش، دليل إضافي على إعجاز القرآن الكريم، وهو رد حاسم قاطع على من زعم تدخل عثمان ﷺ في القرآن الكريم، خدمة لأهداف سياسية وهي: هيمنة لهجة قريش على القرآن الكريم.

ووجود مختلف لهجات العرب في القرآن الكريم[1] من أكبر الشواهد على إلهية القرآن الكريم، ونبوة النبي ﷺ، وذلك لإحاطته التامة بلغة العرب وقوانينها وتصاريف وجوهها، حتى إنه لم يكتف بوجه واحد فقط يذكره أو ينزل عليه القرآن الكريم، وإنما أنزله الله عز وجلّ على سبعة أوجه فصيحة مليحة لدى العرب، ولا يحيط بهذه الأوجه إلا محيط باللغة العربية تام، وهذه من علامات النبوة، فلا يحيط بلغة العرب إلا نبي[2].

ومن الأمثلة عليه: قال الجاحظ: حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال: "قال أهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر: ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة، فقال ابن المناذر:.. أنتم تسمون القدر: برمة.. ونحن نقول: قدر، ونجمعها على قدور، وقال الله عز وجل: ﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ﴾[3]، وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت: علّيّة، وتجمعون هذا الاسم على علالي، ونحن سميه: غرفة ونجمعها على غرفات وغرف، وقال الله تبارك وتعالى:

(1) جاء في الإتقان للسيوطي، ص335، في "القرآن من اللغات خمسون لغة: لغة قريش وهذيل وكنانة وخثعم والخزرج وأشعر ونمير وقيس وجرهم واليمن وأزدشنوءة وكندة وتميم وحمير ومدين ولخم وسعد العشيرة وحضرموت وسدوس والعمالقة وأنمار وغسان ومذحج وخزاعة وغطفان وسبأ وعمان وبنو حنيفة وثعلب وطي وعامر بن صعصعة وأوس ومزينة وثقيف وجذام وبلى وعذرة وهوازن والنمر واليمامة" وذكر شواهد عليه في الموضع ذاته، تحت عنوان:"النوع السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز".

(2) قال الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة"، ص42: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمها إنسان غير نبي"ثم بين أنه لا يخلو الأمر من عالم يعلم ما لا يعلمه غيره من اللغة، وآخر يعلم أخرى.. وهكذا.

(3) سورة سبأ، الآية: 13.

﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾[1]، وأنتم تسمون الطلع: الكافور والإغريض، ونحن نسميه: الطلع، وقال الله تعالى:﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾[2]، فعد عشر كلمات، لم أحفظ أنا منها إلا هذا"[3].

وقد عد الأستاذ الدكتور محمد المحيسن كلمات اختصت بها قبائل عربية – دون قريش– ووردت في القرآن الكريم، منها: 7 لأزد شنوءة، 7 للأشعريين، 2 لأنمار، 11 لتميم، 23 لجرهم، 22 لحمير، 90 لقريش، 29 لكنانة، 47 لهذيل..[4].

وهل هذا يعيب القرآن أم يضاف إلى مزاياه؟

إذا محاسني اللاتي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر[5].

إذا كان مَحاسِنِيَ اللّاتي أُدِلّ بها كانت ذنوبي فقل لي: كيف أعتذر

ولما كان القرآن الكريم يخاطب عامة الناس وخاصتهم، اقتضت حكمة الله ﷻ أن ينزل كلمات قليلة من القرآن الكريم بخلاف الوجه الأظهر، والأشهر من كلام العرب، ولكنه مما قل استعماله بين الناس، إشارة إلى جوازه، وحفاظا على تلك اللغة، وليكون التحدي والإعجاز بكل لغات العرب، دليلا إضافيا على إلهية مصدره.

فالدارس للقرآن الكريم بمختلف قراءاته ووجوه إعراب آياته، يجده ضم كثيرا من لهجات العرب السائدة وقت نزوله، لحكمة عظيمة هي: لو نزل القرآن الكريم بلغة قريش لما تمت معجزته، ولادعى كثير من المكابرين أن القرآن الكريم نزل بلغة واحدة من اللغات، فكان معجزا لأهلها فقط، ولكان من الممكن للفصحاء من القبائل الأخرى أن يأتوا بمثله.

أما سبب هيمنة لغة قريش على سائر اللهجات في القرآن الكريم فهو أمر طبيعي، لسهولة تلك اللهجة، وليس له علاقة بسبب سياسي أو غيره.

---

(1) سورة الزمر، الآية: 20.

(2) سورة الشعراء، الآية: 148.

(3) البيان والتبيين، الجاحظ، 18/1.

(4) ينظر: القول السديد في الدفاع عن قراءات القرآن المجيد، أ.د/ محمد محيسن، ص: 17.

(5) البيت للبحتري، ينظر: ديوانه، تحقيق: حسن الصيرفي، 954/2.

ودليل ذلك أنه لما دخل الأعاجم دين الإسلام، أرادوا تعلم لهجة واحدة يستطيعون منها فهم ما يريد الخطيب والمحدث والقاضي والوالي والبائع.. فأمر عمر بن الخطاب ﷺ الناس بالامتناع عن الحديث إلا بلغة قريش[1]، لأنها الأشهر والأظهر والأفصح والأيسر على الألسنة، وأبعدها وحشة وغربة، والقلوب لها أوعى، فألفها عامة الناس، واستوحشوا ما سواها، وإن كان فصيحا.

و"اللغة العربية الفصحى مبنية في أساسها على لهجة قريش، بسبب ما كان لهذه اللهجة من منزلة، وما كان لأصحابها من مكانة اجتماعية واقتصادية ودينية، وبمرور الزمن أصبحت هذه اللغة اللسان القومي للعرب في القديم والحديث، وتميزت عن بقية اللهجات بتخلصها من الصفات اللغوية المحلية، وبانتشارها انتشارا واسعا، حتى لم يرد لنا أدب قديم أو أثر علمي إلا بها[2]، فقد كانت قريش تجتبي أفضل لغات العرب، حتى صار أفضل لغاتها لغة لها، فنزل القرآن بها"[3].

"قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى (بالألفاظ والحروف): كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفى الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم"[4].

(1) ينظر: الانتصار للقرآن، الباقلاني، 553/2.
(2) اللغة العربية، فخري محمد صالح، ص 104.
(3) تهذيب اللغة، الأزهري، 282/1، (عرب)، ونسبه إلى قتادة.
(4) المزهر، السيوطي، 167/1.

وخلاصة ما سبق: أن القرآن الكريم صورة صادقة للغة الأدبية النموذجية، صاغها بقوالب جمعت كل لهجاتها بأسلوب معجز فريد، ليكون كتاب العرب – كل العرب – الخالد الأول، لا فرق بين لهجة وأخرى، ما دامت من اللغة الأم[1].

وصدق الله العظيم، حين قال في سورة الزمر: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.

القسم الثاني:

نقد دعاوى وجود أخطاء بلاغية فى القرآن الكريم:

كما وردت شبهات حول بلاغة القرآن الكريم وهذا عرض ونقد لأبرزها:

1– سورة البقرة:

أ/ قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[2].

السؤال: لمذا أتى بجمع الكثرة، حين أراد جمع القلة ؟[3] بينما قال في السورة ذاتها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ... أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾[4]، وهنا سؤال آخر: لماذا أتى بجمع الكثرة، حين أراد جمع القلة؟[5]

---

(1) ينظر: قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية، د/ عبد العال سالم مكرم، ص 32-35.

(2) سورة البقرة، الآية: 80.

(3) يقصد أن الأصل أن يعبر القرآن الكريم عن رغبة اليهود في تقليل الأيام التي سيقضونها في النار، فالأفصح أن يعبر عن ذلك بقوله: (معدودات)، وقد وقع مثير الشبهة في خطأ عندما عد لفظ" (معدودة) جمعا، بل اللفظ نعت مفرد.. فألفاظ جمع القلة على وزن" "فعلة، أفعال، أفعل، أفعلة"، وليس منها (مفعولة)، والأصح منه أن يقول: المفرد المؤنث إذا وقع صفة لجمع على أن الموصوف أكثر منه، إذا كانت صفته جمعا سالما، فإنك إذا قلت: "في بلادنا جبال شاهقة" دل ذلك على أن عندكم جبالا كثيرة، بخلاف قولك: "جبال شاهقات"، فإنه يدل على القلة، وقولك: "أنهار جارية" أكثر من "أنهار جاريات".. وعلى هذا، فالأيام المعدودة، أكثر من الأيام المعدودات. ينظر: التعبير القرآني، د/ فاضل السامرائي، ص41.

(4) سورة البقرة، الآية: 183-184.

(5) يقصد: الآية الكريمة جاءت في سياق التخفيف: فقط ما هي إلا أيام معدودة (بالنسبة إلى السنة كاملة تفطرونها)، ولذلك ذهب إلى أن الأفصح التعبير عنها بقوله (معدودة).

الجواب: هذا دليل على أن القرآن الكريم أتى بما لم تعهده العرب من دقيق النظم المعجز، فأي بشر – مهما كان فصيحا – يجد أن الأبلغ ما زعموه.. ولكن التأمل في روعة الإعجاز البياني القرآني يجد ما يلي:

أيام رمضان أيام خير لا يحصي أجر العمل فيها إلا الله ﷻ،[1] فأتى تعبير (معدودات)، ليدل على شرفها، وأنها كثيرة البركات، التي لا تعد ولا تحصى، فالصوم لله ﷻ، وهو يجزي به.

أما التعبير عن مكث اليهود في النار، فقد ورد في القرآن الكريم على صيغتين:

الأولى: في سورة البقرة: وذكر فيها عددا قليلا من ذنوبهم، فسياق الآيات الكريمة كله في الإيجاز.

أما الثانية: في سورة آل عمران: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[2]، فعددت عددا أكبر من ذنوبهم، ولهذا سياق الآيات الكريمة سياق إطناب.

وعند الموازنة بين صدر آية البقرة ﴿وقالوا﴾، وصدر آية آل عمران ﴿ذلك بأنهم قالوا﴾: تجد زيادة ﴿ذلك بأنهم﴾، ثم تجد "الباء" الداخلة على ﴿إن﴾ في﴿بأنهم﴾، ثم ﴿إن﴾ التي تفيد التوكيد، ثم ضمير الجماعة ﴿هم﴾ وكل ذلك من الإطناب الذي لم يقابله في آية البقرة، إلا واو العطف ﴿وقالوا﴾، فهو إيجاز، إذن المقامان مختلفان، أحدهما إيجاز، والثاني إطناب.

وهذا يبين بكل قوة ووضوح لماذا كان ﴿معدودة﴾ في الآية البقرة؟ و﴿معدودات﴾ في آية آل عمران؟

---

(1) عن أبي هريرة ﷺ: "قال رسول الله ﷺ قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به" رواه البخاري (1904)، ومسلم (1151).

(2) الآية: 24.

كان وصف ﴿أياما﴾ في آية البقرة ﴿معدودة﴾، لأن المقام فيها مقام إيجاز، فناسب هذا المقام الإيجازي أن يكون الوصف موجزا هكذا ﴿معدودة﴾، وكان الوصف في آية آل عمران مطنبا ﴿معدودات﴾ بزيادة" الألف" ليتناسب مقام الآية الإطنابي[1].

ب/قوله تعالى:﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾[2].

السؤال: أين البلاغة في توضيح الواضح؟

الجواب: أراد بيان أنها كاملة في الأجر، حتى لا يظن ظان أن لصيام عشرة أيام في مكة المكرمة أجرا أكبر، فيشقّ عليه، ويضعف عن القيام بمناسك الحج..، كما أن فيها توصية بصيامها، وإكمالها عشرة غير منقوصة.

2-سورة آل عمران:

قوله تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

السؤال: أليس الأفصح:" كن فكان"؟

الجواب: هذا من التعبير بصيغة المضارع، لحدث في الماضي من باب استحضار الصورة[4]، حكاية للحال التي يتصور أن يكون عليها آدم عليه السلام حين خلقه الله، وذلك تعرفه العرب، وتعده من البلاغة[5].

---

(1) ينظر تفصيل ذلك في كتاب: التعبير القرآني، د/ فاضل السامرائي، ص41-42.

(2) سورة البقرة، الآية: 196.

(3) سورة آل عمران، الآية: 59.

(4) عبر عن ذلك الزمخشري في الكشاف، 395/1 بقوله: حكاية حال ماضية.

(5) ومن ذلك قول تأبط شرا يصف ضربه لغولة: [فأضربها بلا دهش فخرت# صريعا لليدين وللجران]. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، ص149، وقال معلقا عليه: " قال:" فأضربها"، ليصور لقومه الحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها، ويتطلب منهم مشاهدتها، تعجبا من جراءته على كل هول،

ولو عبر عنه بالماضي – كما يقترحون التعبير – بـ(فكان) فإن اللفظ سيكون قاصرا عن المراد بالمعنى، لأن دلالة الماضي الأصل فيها الانقطاع عن الوجود المستمر، فالماضي: ما دل على حدث وقع وانقطع قبل زمن التكلم.

وهذا غير مراد في حكاية الله كيفية خلقه لآدم، لأنه لو قيل: كن فكان، لصدق هذا التعبير عن وجوده لحظة واحدة من الزمن، ولكنه لم يفد استمراره وتكراره، والعناية به بعد خلقه، فالماضي يعني أنه خلقه، حتى لو كان قد مات لحظة خلقه، أما ﴿كن فيكون﴾ فدلالتها استمرار وجوده حتى أنجب آدم عليه السلام من أنجب من ذكور وإناث، وما بث منهما من آباء البشر وأمهاتهم، كما قال عز وجل: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[1]، لأن دلالة المضارع تبدأ من الحال، وتستمر في الاستقبال، فالمقصود بالآية الكريمة إظهار فضل الله جل جلاله على الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

3– سورة الأنعام:

أ/ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

هنا سؤالان:

الأول: لماذا تم تغيير صيغة الضمير دون سبب ﴿أنزل... فأخرجنا﴾؟

وثباته عند كل شدة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ إذ قال كن فيكون دون كن فكان، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: 31).

(1) سورة النساء، الآية: 1.

(2) سورة الأنعام، الآية: 99.

الثاني: لماذا تغير سياق المعطوف على المفعول به في﴿قنوان دانية﴾ ليصبح مبتدأ، خبره مقدم ﴿ومن النخل﴾، ثم يعود السياق بكلمات منصوبة، لأنها معطوفة على مفعول به؟

الجواب: تغيير صيغة الضمير لاستحضار الصورة[1] بجمال بديع يحسب لبلاغة القرآن الكريم، لا عليها.

أما عطف ﴿قنوان دانية﴾، فذلك لبيان المراتب.. ولا بد لبيانه من استحضار اللمسات البيانية في الترتيب والإعراب، لكل ما ورد في الآية الكريمة من نعم الله على الإنسان من مختلف النباتات..

"لما كان الماء واحدا والنبات جمعا كثيرا، ناسب إفراد الفعل الأول، وجمع الفعل الآخر، ومعلوم أن الواحد إذا قال: (فعلنا)، أراد إفادة تعظيم نفسه..

ونكتة العدول عن الماضي إلى المضارع في قوله ﴿نخرج منه حبا متراكما﴾ تحصل بإرادة استحضار صورته العجيبة في حسنها وانتظامها، وتنضد سنابلها واتساقها وعطف عليه، بما يخرجه تعالى من طلع النخل، من القنوان المتشابه لسنابل القمح في نضده، وتراكبها ومنافعها وغرائبها، فإن في كل منهما أفضل غذاء للناس، وعلف للدواب والأنعام.

وذكر بعده جنات الأعناب، لأنها أشبه بالنخيل في هذه الأبواب، فالعناقيد تشبه العراجين من تكوينها، وتراكب حبها، وألوان ثمرها، كما تشبهها في درجات تطورها: فالحصرم كالبسر، والعنب كالرطب، والزبيب كالتمر، ويخرج من كل منهما عسل وخل..

ثم ذكر الزيتون والرمان معطوفا على نبات كل شيء، أو منصوبا على الاختصاص، لا على ما قبله من النخيل والأعناب، لأن ما بينهما من التشابه في الصورة محصور في الورق دون التمر، وأما مكانهما في المنفعة (قياسا بما سبق) فالأول

(1) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، ص148، وقال معلقا على جمال التعبير في الآية الكريمة: "﴿فتثير سحابا﴾ استحضارا لتلك الصورة البديعة، الدالة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب".

في الدرجة الثانية والآخر في الدرجة الرابعة، ذلك بأن الزيتون وزيته غذاء فقط – ولكنه تابع للطعام غير المستقل بالتغذية – والرمان فاكهة وشراب فقط، ولكنهما دون فواكه النخيل والأعناب وأشربتهما في المرتبة، فناسب جعله بعدهما.

والإشارة باختلاف الإعراب، إلى رتبة كل منهما، وبناء على اختلاف المراتب قدم الحب على الجميع.. وسبحان من كان هذا كلامه"[1].

ب/قوله تعالى:﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[2].

السؤال: في البداية المتحدث محمد ﷺ ثم أصبح الله ﷻ فما مسوغ ذلك؟

الجواب: "لما كان التقدير:"فأنتم وجميع أرباب البلاغة تعلمون حقيقته بتفصيله والعجز عن مثيله"، عطف عليه قوله: ﴿والذين﴾، ويجوز أن يكون جملة حالية، ﴿آتيناهم﴾ أي بعظمتنا التي تعرفونها ويعرفون بها الحق من الباطل ﴿الكتاب﴾ أي المعهود إنزاله من التوراة والإنجيل[3].

4–سورة التوبة:

قوله تعالي:﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[4].

السؤال: ما وجه البلاغة بالتعبير بضمير المفرد العائد على المثنى؟

الجواب: التقدير" والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه" وحذف للإيجاز، كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 533/7.

(2) سورة الأنعام، الآية: 114.

(3) نظم الدرر، البقاعي، 698/2.

(4) سورة التوبة، الآية: 62.

وأيضا: فقد أفرد الضمير، لأنه أراد عود الضمير على أول الاسمين، واعتبار العطف من عطف الجمل، بتقدير"والله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك"[1].

والعقل يستسيغ ذلك، فإن تمايز المعطوفان، وكانا غير متجانسين.. لا يجوز تثنيتهما،مثلا: الرجل والمرأة، لا يجوز أن نقول: رجلان، أو تقول: امرأتان، وأنت تريد رجلا وامرأة، إن هذا لا يقول به العقلاء.

وكذلك فليس بين الله ورسوله – ولا بين الله ﷻ وبين أي شيء في الوجود – تجانس من أي نوع من الأنواع من أجل هذا، فإن "الله سبحانه وتعالى" لا يجمع ولا يثنى، لا في ذاته ولا مع أحد من خلقه[2].

وعلى هذا جرى بيان القرآن المعجز، فلم يقل: "والله ورسوله أحق أن يرضوهما"، لأن الله ليس فردا من جنس الأفراد الذين ينتمي إليهم رسوله ﷺ.

وذلك مثل قوله تعالى:﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾[3]، فلم يقل: إن الله ورسوله بريئان من المشركين، لأن وصف الله بالبراءة من المشركين، وصف توحيدي تابع للواحد الأحد، الذي ليس له مثيل في كل الوجود.

أيضا: لو قال:"يرضوهما" يجوز أن يكون إرضاء كل منهما في غير ما يكون به إرضاء الآخر، وهو خلاف المراد هنا، وكذلك لو قيل:" والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه" لا يفيد هذا المعنى أيضا، وفيه ما فيه من الركاكة والتطويل.

والخلاصة: القرآن الكريم يخاطب العقلاء، وفى الآية الكريمة أسلوب الإيجاز البليغ، لأن معناها الذي لم يهتدوا إليه هو:"والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن

(1) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 1/227-228. والشعر من المنسرح، وينظر:جمهرة أشعار العرب، أبويزيد القرش، ص: 4.

(2) عن ابن عباس رضي الله عنهما "أن رجلا قال: يا رسول الله، ما شاء الله وشئت، فقال: جعلتني لله عدلا؟ بل ما شاء الله وحده" رواه أحمد (2430) بإسناد صحيح.

(3) سورة التوبة، الآية: 3.

يرضوه"، فحذف:" أحق أن يرضوه" من الأول، لدلالة الثاني عليه. "والإيجاز مخ البلاغة"[1].

5- سورة يونس:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2].

السؤال: لماذا انتقل من المخاطب إلى الغائب، قبل إتمام المعنى، والأصح أن يستمر في خطاب المخاطب؟

الجواب: هذا من الالتفات[3]، وهو من ضروب بلاغة العربية، وله فوائد عامة منها:

الأولى: حمل المخاطب على الانتباه، لتغير وجه الأسلوب.

الثانية: حمله على التفكير في المعنى، لأن تغير وجه الأسلوب، يؤدي إلى التفكير في السبب.

الثالثة: دفع السآمة والملل عنه، لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد، يؤدي إلى الملل غالبا، كما لكل موضع التفات في القرآن الكريم أهداف خاصة متعلقة بالسياق، بيّنته كتب التفسير البياني.

"فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة، قلت: المبالغة، كأنه يذكر حالهم لغيرهم ليعجبهم منها، ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح"[4].

---

(1) ينظر: تنزيه الأنبياء، أبو الحسن السبتي، ص: 142.

(2) سورة يونس، الآية: 22.

(3) وهو: "الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر، قال الله جل ثناؤه: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة﴾ (يونس:22) وقال: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ ثم قال: ﴿وبرزوا لله جميعا﴾ (إبراهيم: 19-20)". ينظر: البديع، ابن المعتز، 89-92، وذكر شواهد عليه من شعر العرب.

(4) الكشاف، الزمخشري، 323/2.

فهؤلاء الذين تحدث عنهم في هذه الآية الكريمة، أنعم الله عليهم بالتسيير في البر والبحر، وامتحنهم بالريح العاصف بعد أن أقلعت بهم الفلك تمخر عباب الماء، فتوجهوا إلى الله ﷻ يطلبون منه الإنجاء، واعديه أن يشكروه ويعرفوا فضله، إن أنجاهم، فلما أنجاهم نسو ما وعدوا الله به، وعادوا إلى معصيته.

وكانت فائدة الالتفات عن خطابهم المباشر ﴿كنتم في الفلك﴾ إلى الحكاية العجيبة إلى غيرهم، لكي يستثير سخط الناس عليهم، ويقبحوا سوء صنيعهم مع الله ﷻ، ويأخذوا العبرة، كما أن"الغيبة" تناسب الفعل ﴿جرين﴾ فهم كانوا على الشاطئ والفلك ترسو إلى جنبه، وأخذ الناس يركبون الفلك، حتى إذا تكاملوا على ظهره، وأقلعت سفينتهم آخذة في الجري غابوا عن الأنظار، فهم ليسوا حاضرين حتى يخاطبوا، ولكنهم غائبون، فجرى الحديث عنهم مجرى الحديث عن الغائب.

إنَّ كلتا اللمحتين البلاغيتين تنبثقان من هذا التعبير: ﴿وجرين بهم﴾، ولا تُنَافِر واحدة منهما الأخرى.

6- سورة يوسف:

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[1].

السؤال: لماذا حذف جواب لما، ولو حذف الواو –قبل كلمة ﴿أوحينا﴾– لاستقام المعنى؟

الجواب: هذا من الحذف البلاغي المعجز[2]، إن حذف جواب"لما" هنا، المراد منه: تهويل وتفظيع ما حدث من إخوة يوسف ليوسف، بعد أن أذن لهم أبوهم بالذهاب

(1) سورة يونس، الآية: 15.

(2) قال الجرجاني في دلائل الإعجاز، ص146: "هو بحث دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن". هذا الحذف لا تكاد تخلو منه سورة من سوره، ولا آية من آياته، وينتمي الحذف البلاغي إلى فن بلاغي حصر بعض العلماء البلاغة فيه، وهو "فن الإيجاز" أي قلة الألفاظ مع كثرة المعاني.

به للعب معهم، لذلك حذف جواب"لما"، لتذهب النفس في تصوّره كلّ مذهب، وحذف هذا الجواب فيه دلالة على هَوْل ما حدث منهم، وعلى غرابته وبشاعته[1].

أما اقتراح مثيري الشبهة بحذف"الواو" في ﴿وأوحينا﴾ ليستقيم المعنى فخطأ، لأن ﴿أوحينا﴾ ليس جوابا "لما"، وإنما هو معطوف على الجواب المقدر، لأن جواب"لما" هو ما حدث ليوسف من إخوته، بمجرد خروجهم به من عند أبيهم وبعدهم عنه قليلا، ودليل ذلك هو العطف بالفاء في "لما" لأنها تفيد الفورية والترتيب، ولجهلهم بالعربية وقعوا في ذلك الخلط.

7- سورة الحج:

أ/قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[2]

السؤال: أين البلاغة في استخدام كلمة لا تعرفها العرب؟

الجواب: لا يعيب على القرآن الكريم أنه أضاف إلى اللغة العربية مفردات جديدة (كالتفث)[3]، بل ذلك من مزاياه.

ب/﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[4].

السؤال: أليس الصواب:" فأصبحت"؟ وعلى فرض صحة ﴿فَتُصْبِحُ﴾ فالصواب: "فَتُصْبِحَ"، بفتح الحاء.

---

(1) ينظر تفصيل ما تعرض إليه سيدنا يوسف عليه السلام من أذى على يد إخوته، في الكشاف للزمخشري، 424/2، ويستطيع المرء استنباط عدة أصناف أخرى من الأذى، كلها مراد وكلها مقصود، فالحذف البلاغي هنا مراده: إفادة التوسع في المعنى.

(2) سورة الحج، الآية: 29.

(3) التفث: "نتف الشعر، وقص الأظفار، وتنكُّبِ كل ما حرم على المحرم، وكأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال.. قال الزجاج: لا يعرف أهل اللغة التفث، إلا من التفسير". ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 120/2 (تفث).

(4) سورة الحج، الآية: 63.

الجواب: انتقل من التعبير بالماضي إلى المضارع، لاستحضار الصورة، وإفادة التجدد والاستمرار،(فالماضي يفيد الانقطاع، والمضارع يفيد الاستمرار)[1].

كما تقول: أنعم عليَّ فلان بكذا، عام كذا، فأرواح وأغدو شاكرا له، ولو قلت: فرحت وغدوت، لم يقع في الموقع البلاغي ذاته.

أما رفع: ﴿فتصبحُ﴾ فلأنه لو نصب لأعطى عكس الغرض؛ لأن معناه: إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثال ذلك: أن تقول لصاحبك:" ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر"، فإن نصبت، فأنت ناف لشكره، شاكٍ تفريطه فيه، وإن رفعت، فأنت مثبت للشكر[2].

8- سورة الشعراء:

قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[3].

فيه سؤالان:

الأول: أليس الأصح (فتظل)؟

الثاني: لماذا قال ﴿خاضعين﴾ والكلمة جمع للعاقل، مع أن المقصود:"الرقاب" وهي من غير العاقل؟

الجواب: فيه إشارة بيانية إلى أنه بمجرد نزول الآية الموعودة يتحقق الخضوع، وتصلُّبُ الأعناق دهشة سيحدث بسرعة من غير مهلة.

أما التعبير بجمع ﴿خاضعين﴾ لأن الفعل يعود على أهلها، فذُلُّهم سيشملهم كلهم ولن يغادر أحدا منهم، ولن يغني جمعهم شيئا، والأصل:(ظلوا)، ولكن ذكر الأعناق، لأنها موضع الخضوع.

---

(1) جاء التعبير بالمضارع للتنبيه على أن للمطر منافع كثيرة متجددة تتعاقب متعاقبة. ينظر: نظم الدرر، البقاعي، 170/5.

(2) ينظر: إشكالات قرآنية – أسئلة وردود، حيدر كامل، ص 174-175.

(3) سورة الشعراء، الآية: 4.

وكذلك للإشارة بأن تصلب الأعناق يكون بطبع منها (حركة لا إرادية) من غير تأمل منهم.. أي أن أعناقهم تفقه الآيات، بعكسهم هم، وفى ذلك تعريض بهم[1].

والدليل على هذا المعنى، ما جاء بعدها مباشرة: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[2]. أي: هم معرضون، لكن حواسهم خاشعة خاضعة، فهي أعقل منهم.

9- سورة العنكبوت:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

السؤال: ما وجه البلاغة في استعمال هذا التعبير الغريب؟

الجواب: الحيوان مصدر على وزن فعلان مثل غثيان وفيضان ودوران وغليان، والـ(فعلان) صيغة في المصادر تدل على الحركة المستمرة والحدوث، وعلى هذا، فتعبير الحيوان يدل على أعلى أنواع الحياة؛ لأن من أهم صفات الحياة الحركة، فالحياة الدنيا عبارة عن نوم وسبات بالنسبة للآخرة وهي ليست حياة إذا ما قورنت بالآخرة من حيث الحركة المستمرة، والآخرة كلها حركة وفيها سعي وتفكر وانتقال وليس فيها نوم، ولو استعملت كلمة الحياة لدلت على التقلب فقط، ولم تدل على الحركة والحدوث، فناسب استعمال كلمة الحيوان مع الحركة والحدوث الذي يكون في الآخرة[4].

(1) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، 347/5.

(2) سورة الشعراء، الآية: 5-6.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 63.

(4) ينظر: إعجاز القرآن البياني، د/ صلاح الخالدي، ص234.

10- سورة الفتح:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.

السؤال: أين البلاغة في هذا التركيب الذي يؤدي إلى اضطراب المعنى؟

- فإن كان القول: ﴿تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ عائدا على الرسول ﷺ فهو كفر، لأن التسبيح لله فقط.
- وإن كان القول: ﴿تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ عائدا على الله ﷻ فهو كفر، لأنه لا يحتاج من يعزره ويقويه.

الجواب: التسبيح لا يكون إلا لله تعالى، كما هو معلوم لكل من درس الإسلام، ومرجع الضمير في قوله: ﴿تعزروه﴾ (أي: تنصروه) فهو عائد على الرسول ﷺ.

وأما الضمير في: ﴿وتوقروه﴾ فلا مانع عقلا وشرعا أن يكون عائدا على الله ﷻ، لأن توقير الله هو إكباره وتعظيمه، وقد قال نوح لقومه موبخا لهم ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾[1].

ويجوز أن يكون عائدا على الرسول، وتوقيره هو احترامه وإنزاله منزلته من التكريم والطاعة[2].

أما دعوى الخلط والاضطراب فهو غير موجود إلا في أوهامهم، لأن الخطاب الدعوي في القرآن الكريم خطاب موجه إلى العقلاء الأذكياء لا إلى المتغابين أو الأغبياء.

---

(1) سورة نوح، الآية: 13.

(2) قال الشوكاني في فتح القدير 493/6: "وقيل: الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة لله عز وجل، فيكون معنى (تعزروه وتوقروه): تثبتون له التوحيد، وتنفون عنه الشركاء، وقيل: تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله، وفي التسبيح وجهان، أحدهما: التنزيه له سبحانه من كل قبيح، والثاني: الصلاة".

11- سورة الرحمن:

قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾[1].

السؤال: أليس الصواب: تنفذا، فانفذا، لا تنفذان؟

الجواب: تحت كلٍّ أفرادٌ كثيرة، فأفاد الجمعُ رعاية الكثرة[2]، التحدي هنا يستغرق كل فئات الإنس والجن، أي كل فرد من أفراد الطائفتين، وفى هذا قمة التحدي، وإرخاء العنان، والتنزل للخصم.

12- سورة المعارج:

قوله تعالى:﴿ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴾[3].

السؤال: أليست الجملة لا تعبر عن المقصود؟ فقد جعلت سبب منعهم من دخول الجنة، أنهم مخلوقون من ماء مهين.

الجواب: تظهر الآية الكريمة أن الكفار –الطامعوين بدخول الجنة– لم يقدموا ما يستوجب دخولها، من إيمان وعمل صالح ومحاسن أخلاق.. إلا الإعراض عنها، فليس لهم ما يميزهم عن المؤمنين، خلقا أو خلقا.

فيكون التقدير:"إنهم مخلوقون من هذه الأشياء المستقذرة، فلولم يتصفوا بالإيمان والمعرفة، فكيف يليق بالحكيم إدخالهم الجنة؟"[4].

13- سورة القيامة:

قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾[5].

---

(1) سورة الرحمن، الآية: 33.

(2) ينظر: روح المعاني، الآلوسي، 172/15.

(3) سورة المعارج، الآية: 38-39.

(4) مفاتيح الغيب، الرازي، 133/29.

(5) سورة القيامة، الآية: 14.

السؤال: أليس الأصح "بصير"؟

الجواب: هذا من البلاغة المعهودة عند العرب (جعله هو البصيرة) كما تقول للرجل: أنت حجة على نفسك، والبصيرة: الشاهد.

وقيل جاء تأنيث البصيرة، لأن المراد بالإنسان ها هنا الجوارح، لأنها شاهدة على نفس الإنسان، فكأنه قال: بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة، قال معناه القتبي وغيره، وناس يقولون: هذه الهاء في قوله: بصيرة، هي التي يسميها أهل الإعراب هاء المبالغة، كالهاء في قولهم:داهية، وعلاّمة، وراوية[1].

14- سورة المرسلات:

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَالَتٌ[2] صُفْرٌ﴾[3].

فيه سؤالان:

الأول: ﴿جمالات﴾: أليس الأصح جمال؟

الثاني: هل هناك جمال صفراء اللون؟

الجواب: يجوز أن يكون (جمالات) جمع الجمع لجمل، كقولك: رجل، رجال، رجالات.. بيت، بيوت، بيوتات[4].

وقيل: المقصود حبل السفينة: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿كأنه جمالات صفر﴾: حبال السفن تجمع، حتى تكون كأوساط الرجال"[5].

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 99/19. وورد فيه توجيهات أخرى تقبلها اللغة.

(2) هذه قراءة السبعة عدا حفص والكسائي وحمزة، وقراءتهم ﴿جمالة﴾. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 165/19. والموضح في وجوه القراءات وعللها، ابن أبي مريم، 1329/3-1330.

(3) سورة المرسلات، الآية: 33.

(4) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 123/11 (جمل). وذكر أن الجمل يجوز أن يجمع على: أجمال وجمال وجمل وجمالات، وجمالة، وجمائل. ينظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ابن أبي مريم، 1329/3.

(5) رواه البخاري (4933).

أما تعبير العرب عن الجمال السود بالصفر[1]، والغابة الخضراء بالسوداء، والحديد الأسود بالأخضر[2].. فلأهداف بيانية بلاغية تتعلق بالتشبيه والكنايات وهذا معلوم متفق عليه، والقرآن الكريم كتاب عربي مبين.

ومن عجائب هذا الزمان، أن يستدرك الأعاجم —ومن في حكمهم— على العرب الذين صنعتهم العناية بالجمال، فلم يسعهم سكوت قريش وسائر قبائل العرب حين سمعوا القرآن الكريم، أم أن الأعاجم أعلم بصفات الجِمال وألوانها من العرب؟!.

الخاتمة:

في ختام الإجابة على دعاوى الأخطاء اللغوية من المهم التنبه إلى ثلاثة أمور رئيسة:

1-أن مثيري الشبهات عندما يروجون لهذا الموضوع أمام العامة، لا يريدون فقط مهاجمة القرآن الكريم، لذا لا ينبغي للداعية المسلم أن يظن أن مهمته عند إبطال مزاعم الأخطاء اللغوية في القرآن الكريم.

لننتبه أن القرآن الكريم هو البادئ بالتحدي، وهو المبادر ببيان إعجازه اللغوي البلاغي، لذا يحتاج مثيرو الشبهات حول القرآن الكريم — وبخاصة المنصرون — إلى بناء سد أمام عوام الناس — وبخاصة من غير المسلمين أو من ضعاف الإيمان —، يحول بينهم وبين رؤية هذا الإعجاز القاهر، لا يطمحون أبدا إلى نقد الإعجاز الثابت الواضح، ولكن يكفيهم التشويش على أذهان عوام الناس، يقولون لهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[3]، فإن شغلوا دعاة المسلمين بتفنيد الأخطاء اللغوية المزعومة، فقد نجحوا في مهمتهم، نعم: نجحوا، حتى لو نجح الداعية

(1) لا يوجد جمل أسود، إلا كان مشربا بصفرة، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 460/4، (صفر)، وذكر شواهد على ذلك من كلام العرب. ينظر: العين، الخليل بن أحمد، 517/2، (جمل).

(2) قال ابن منظور: "يقال كتيبة خضراء، إذا غلب عليها لبس الحديد، شبه سواده بالخضرة، والعرب تطلق الخضرة على السواد". ينظر: لسان العرب: 245/4 (خضر).

(3) سورة فصلت، الآية: 26.

في تفنيد الأخطاء المدعاة، لأن الداعية الذي شغل بتفنيد الأخطاء المزعومة وتوقف بعدما نجح، لم يقم بالهجوم القرآني بإثبات الإعجاز القاهر، فغاية أمر هذا الداعية أن ينجح في الدفاع عن القرآن الكريم، وليس في ذلك – عند مثيري الشبهات – كبير خطر على عوام قومهم وقومنا، وإنما يخشون الاستماع إلى إثبات الإعجاز القرآني القاهر.

والخطأ أن الداعية في نهاية انتصاره للقرآن الكريم، يظن أنه بعد تمام تفنيد الدعاوى والرد على الشبهات، سيضع القلم، ويخلد إلى النوم، حامدا ربه على النجاح الباهر في الذب عن القرآن الكريم، وفى المقابل سيسعد مثيرو الشبهات بنجاح مسعاهم، باستنزاف وقت وجهد الداعية، ومن ثم صرف اهتمامه بمخاطبة الناس بالإعجاز القرآني.

2- كما يجب التنبيه إلى أن كثرة الشبهات ودعاوى وجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم لا تدل على حتمية وجود الأخطاء، لأن "العدل في الشيء صورة واحدة، والجور صوره كثيرة، ولهذا سهل ارتكاب الجور، وصعب تحري العدل، وهما يشبهان الإصابة في الرماية والخطأ فيها، فإن الإصابة تحتاج إلى ارتياض وتعاهد، والخطأ لا يحتاج لشيء من ذلك"[1].

بل الأصل في الدعاة تقبل السنة الإلهية بمخالفة أولئك القوم لنا، والتسليم بحكمة الله تبارك وتعالى،"فمن قدَّر أنه يسلم من طعن الناس، وعيبهم فهو مجنون.. من حقق النظر، وراض نفسه (من الرياضة) على السكون إلى الحقائق -وإن آلمته في أول صدمة- كان اغتباطه بذم الناس إياه أشد وأكثر من اغتباطه بمدحهم إياه، لأن مدحهم إياه إن كان بحق وبلغه مدحهم له أسرى ذلك فيه العجب، فأفسد بذلك فضائله، إن كان بباطل فبلغه فسره فقد صار مسرورا بالكذب، وهذا نقص شديد.

وأما ذم الناس إياه: فإن كان بحق فبلغه، فربما كان ذلك سببا إلى تجنبه ما يعاب عليه، وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه إلا ناقص، وإن كان بباطل فبلغه فصبر –

(1) هذا القول منسوب لأفلاطون، ينظر: لباب الآداب، أسامة بن منقذ، ص456.

اكتسب فضلا زائدا بالحلم والصبر، وكان مع ذلك غانما، لأنه يأخذ حسنات من ذمة بالباطل، فيحظى بها في دار الجزاء"[1].

صحيح أن الشبهات المثارة كثيرة، لكن الكثرة لا تعني الصحة، وكثرة أتباع فكرة ما لا تعني بالضرورة صحة ما هم عليه، نعم هم كثير،"ولكن الحقّ لا يتبع الكثرة، فإن الحق خفي لا يستقل بدركه إلا الأقلون، والباطل جلي يبادر إلى الانقياد له الأكثرون، وأنتم فقد بنيتم الترجيح على قيام الشوكة بكثرة الأنصار والأشياع، وهذا إنما يستقيم لو كانت الإمامة في أصلها تنعقد باجتماع الخلق على الطاعة"[2].

3- ينبغي أن نحرص على تعليم الناس –وبخاصة اللغة العربية– لأن ظلام الشبهات يزول بنور العلم: فـ"الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شكا، لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم وجيشه مغلولة مغلوبة"[3].

قال تعالى:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4].

(1) الأخلاق والسير، ابن حزم، ص55.

(2) فضائح الباطنية، الغزالي، ص174، ويقصد بالجملة الأخيرة: إن الباطل قد تساعده دولة متمكنة (ذات شوكة)، فتسخر إمكانياتها لنشره وتأييده، وهذا يكون عاملا مساعدا لنشر الباطل، ويزيد من غربة الحق وأهله.

(3) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، 140/1.

(4) سورة الأنعام، الآية: 153.